أبو كيس
سلسلة حكايات وألوان
أبو كيس
دار شهرزاد
دار شهرزاد
دار شهرزاد
قصة ورسم يوسف عبدلكي
تطلب من
دار العلم للملايين
مؤسسة نوفل
فريق التوثيق الألكتروني

سلسلة حكايات وألوان

ص. ب. ٢١٦١ أو ص. ب. ١٠٨٥

بيروت. لبنان

سِلسِلة حِكايات وَألوَان

أبو كيس

قصة ورسم

يوسف عبدلكي

دار شهرزاد

كانَتْ قَرْيَةُ (ٱلْمَسَرّاتِ) مَعْروفَةً بِعيشَتِها ٱلْحُلْوَةِ
وَسَعادَةِ أَبْنائِها... وَلَكِنْ حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ ما عَكَّرَ

صَفْوَ تِلْكَ السَّعادَةِ وَنَغَّصَ حَياةَ أَبْنائِها.
ما السَّبَبُ في ذلِكَ؟ وَما الَّذي حَدَثَ؟

السَّبَبُ يا أَصْدِقائي هُوَ
ذَلِكَ الشَّبَحُ ٱلْأَسْوَدُ الَّذي يَأْتي لَيْلاً إِلى ٱلْقَرْيَةِ
وَيَحومُ حَوْلَ بُيوتِهـا لِيَسْرِقَ الدَّجَـاجَ
وَٱلْأَرانِبَ وَٱلْحَمامَ ٱلْأَبْيَضَ ٱلْجَميلَ، وَيَضَعَها
كُلَّها في كيسِهِ ٱلْكَبير. لَيْسَ هَذا فَقَطْ، بَلْ
كانَ يَعْتَدي عَلى كُلِّ مَنْ يَعْتَرِضُ سَبيلَه..
أَبو إِبْراهيمَ كُسِرَتْ رِجْلُه. أُمُّ سَليم كادَتْ
تُصـابُ بِالْجُنونِ لِشِدَّةِ فَزَعِها مِنْه. أَبو
خليل نالَ مِنَ الضَّرْبِ الشَّديـدِ ما أَقْعَدَهُ
في ٱلْبَيْـتِ أَكْثَرَ مِن
أُسْبوعَيْن.

لِهذا باتَ النّاسُ في خَوْفٍ شَديدٍ مِنْهُ... يُقْفِلونَ أَبْوابَ بُيوتِهِمْ عِنْدَ غُروبِ الشَّمْسِ وَلا يَخْرُجونَ مِنْها إلاّ في الصَّباحِ.

وَهكَذا حُرِمَ النّاسُ ٱلْكِبارُ مِنْ سَهَراتِ الشِّتاءِ ٱلْمُمْتِعَةِ حَوْلَ ٱلْمَوْقِدِ، كَما حُرِمَ ٱلْأَطْفالُ الصِّغارُ حِكاياتِ جَدّاتِهِمْ الظَّريفَة.

وَٱلْحَقيقَةُ يا أَصْدِقائِي الصِّغارَ أَنَّكُمْ لنْ تَسْتَطيعوا أَنْ تَتَصَوَّروا مَدى ٱلْحُزْنِ الَّذي أَصابَ (خليل) بَعْدَ أَنْ سَرَقَ (أَبو كيس) أَرْنَبَهُ ٱلْمَحْبوبَ (نونو). وكَمْ بَكَتْ (نَرجسُ) عَلى فَقْدِ خَروفِها الصَّغيرِ (بي بي).

كانَ (زُهْدي) وَلَداً شُجاعاً لا يَعْرِفُ ٱلْخَوْفُ إلى قَلْبِـهِ سَبيـلاً. وكـانَ يُحِبُّ قَرْيَتَهُ كَثيراً، فَصَمَّمَ ذاتَ يَوْمٍ على تَخْليصِها مِنْ شَرِّ (أَبو كيس).

وَعِنْدَمـا سَرَقَ أَبو كيس ديكَهُ ٱلْمُلَوَّنَ (زَيْزون) لَمْ يَحْزَنْ وَلَمْ يَبْكِ، بَلْ دَعا رِفاقَهُ مِنْ أَبْنـاءِ ٱلْقَرْيَـةِ إلى ٱجْتِماعٍ لِيُحَدِّثَهُمْ بِأَمْرٍ هام.

حضرَ ٱلْٱجْتِماعَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلْأَطْفالِ تَلْبِيَةً لِدَعْوَةِ (زُهْدي) الَّذي وَقَفَ وَقالَ لَهُمْ بِصَوْتٍ قَوِيٍّ:

– يا أَصْدِقائي.. إِنَّ قَرْيَتَنا تَعيشُ في خَوْفٍ دائِمٍ، وَٱلسَّبَبُ كَما تَعْرِفونَ هُوَ أَبو كيس، وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ لِنَضَعَ خُطَّةً لِلْخَلاصِ مِنْهُ، فَما رَأْيُكُمْ في أَنْ نَتَعاوَنَ عَلى ذَلِكَ؟

سَرَتْ بَيْنَ ٱلْأَطْفالِ وَشْوَشاتٌ، ثُمَّ أَخَذَ صَوْتُهُم بِالْٱرْتِفاعِ شَيْئًا فَشَيْئًا: إِنَّهُ قَوِيٌّ.. لا يُمْكِنُنا مُقاوَمَتُهُ... لَقَدْ كَسَرَ رِجْلَ والِدي.. أَنْتَ تَسْخَرُ مِنّا.. أَنا ذاهِبٌ.. تُريدُ أَنْ تُهْلِكَنا... أَنا أَنْسَحِبُ... وَأَنا أَيْضاً... وَهكَذا ٱنْفَضَّ ٱلْجَميعُ مِنْ حَوْلِ زُهْدي الَّذي بَقِيَ في الساحَةِ وَحيداً.

كانَ زُهْدي مَعْروفاً بِذَكائِهِ الحادِّ، لِذلكَ لَمْ يَيْأَسْ وَراحَ يُفَكِّرُ.. يَجِبُ ٱلْخَلاصُ مِنْ أَبي كيس وَلَوِ ٱقْتَضى ٱلْأَمْرُ أَنْ أَقومَ بِذلِكَ وَحْدي.

ثُمَّ نَفَخَ صَدْرَهُ وَأَبْرَزَ عَضَلاتِهِ وَقالَ: وَماذا في ذلِكَ أَنا رَجُلٌ وَهُوَ رَجُل. صَحيحٌ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنّي وَأَقْوى، وَلَكِنَّني لا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَذْكى مِنّي، فَلْأُحارِبْهُ إِذَنْ بِعَقْلي.. هيه يا زُهْدي، هَيّا إلى ٱلْعَمَل.

أَغْلَقَ زُهْدي بابَ غُرْفَتِهِ وَراحَ يَرْسُمُ ٱلْخُطَطَ.. كانَ يَعْمَلُ بِهِمَّةٍ وَنَشاط. وَأَخيراً لَمَعَتْ بِرَأْسِهِ فِكْرَةٌ رائِعَةٌ، فَراحَ يَدْرُسُها بِتَأَنٍّ وَدِقَّةٍ، حَتّى ٱسْتَقَرَّتْ في ذِهْنِهِ وَعَزَمَ عَلى تَنْفيذِها.

حَمَلَ زُهْدي أَدواتِ خُطَّتِهِ على عَرَبَةٍ خَشَبِيَّةٍ صَغيرَةٍ، وَمَضى بِها إلى ٱلْغابَةِ ٱلْمُجاوِرَة.

وَما أَنْ رَآهُ ٱلْأَطْفالُ وَعَرَفوا غايَتَهُ حَتّى راحوا يَنْصَحونَهُ بِٱلرُّجوعِ عَنْ عَزْمِهِ وَيُخيفونَه مِنْ عاقِبَةِ ما سَيُقْدِمُ عَلَيْه.

لَكِنَّ زُهْدي لَمْ يَأْبَهْ لِكَلامِهِمْ، بَلْ مَضى في طَريقِهِ صادِقَ العزمِ واثِقاً مِنْ نَفْسِهِ، حَتّى وَصَلَ إلى ٱلْغابَةِ، فَٱتَّجَهَ مُباشَرَةً إلى مَكانٍ مُعَيَّنٍ وَراحَ يَعْمَلُ بِنَشاط.

بَقِيَ عَلى تِلْكَ ٱلْحالِ عِدَّةَ أَيّامٍ، يَمْضي في الصَّباحِ إلى ٱلْغابَةِ وَلا يَعودُ مِنْها إلاّ عِنْدَ غِيابِ الشَّمْس.

فِي يَوْمٍ مِنَ ٱلْأَيّامِ نَسِيَ زُهْدي نَفْسَهُ فَمالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُروبِ وَبَقِيَ هُوَ يَعْمَلُ.. وَيَعْمَلُ حتّى رَأى ظَلامَ ٱللَّيْلِ يَنْتَشِرُ.. وَفَجْأَةً سَمِعَ تَكَسُّرَ ٱلْأَغْصانِ مِنْ حَوْلِهِ..
وَما هِيَ إلاّ لَحْظَةٌ حَتّى رَأى أَبا كيس يَنْقَضُّ عَلَيْهِ كَٱلصّاعِقَةِ، لكِنَّ زُهْدي مالَ عَنْهُ بِسُرْعَةٍ ثُمَّ قَفَزَ مِنْ مَكانِهِ

وَراحَ يَجْري في ٱلْغابَةِ عَلى غَيْرِ هُدًى كَالْأَرْنَبِ ٱلْمَذْعور.
وَٱلْحَقيقَةُ أَنَّ خِفَّةَ زُهْدي في ٱلْهَرَبِ قَدْ أَنْقَذَتْهُ مِنَ ٱلْوقوعِ حَتْماً في قَبْضَةِ أبي كيس.

اِنْقَطَعَ زُهْدي عَنِ ٱلْعَمَلِ مُدَّةً طَويلَةً، حَتّى لا يُثيرَ ٱهْتِمامَ أَبي كيس. وَبَعْدَ أُسْبوعٍ تَقْريبًا عادَ إلى ٱلْعَمَلِ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ وَحَذَرٍ مُحاوِلاً أَنْ يَقومَ بِأَكْبَرِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِنَ ٱلْعَمَلِ بِأَقلِّ ضَوْضاءَ وَأَقْصَرِ وَقْت.

أخيرًا أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ جاهِزًا، فَفَرَكَ زُهْدي يَدَيْهِ فَرَحًا وَقالَ كَمَنْ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ:

- هيّا يا أَبا كيس.. ٱلْآنَ أُريدُكَ أَنْ تَعْرِفَ مَكاني.

ثُمَّ أَحْضَرَ طَبْلاً وَراحَ يَضْرِبُ عَلَيْهِ بِشِدَّةٍ وَيُغَنّي بِأَعْلى صَوْتِهِ أَوْ يُصَفِّرُ صَفيراً مُزْعِجًا، حَتّى فارَ ٱلدَّمُ في عُروقِ أَبي كيس، وَخَرَجَ مِنْ مكْمِنَهِ ثائِرًا كَٱلثَّوْرِ ٱلْهائِجِ يُريدُ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ هَذا ٱلْوَقحُ ٱلَّذي جَرُوءَ عَلى إِزْعاجِهِ بِهَذا ٱلصَّوْتِ ٱلْقَوِيّ.

راقَبَ أَبو كيس
ٱلْمَكانَ مِنْ خَلْفِ
إِحْدى ٱلْأَشْجارِ، فَرَأَى
وَلَدًا صَغيرًا، عَرَفَ
فيهِ ذَلِكَ ٱلَّذي فَرَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ
أُسْبوعٍ، فَٱزْدادَ غَضَبُه..

وَلَكِنَّ زُهْدي، كانَ شَديدَ ٱلْحَذَرِ وَإِنْ
كانَ يُصَفِّرُ وَيُغَنّي وَيَقْرَعُ ٱلطَّبْلَ.. وَكانَتْ
عَيْناهُ تَرْصُدانِ كلَّ حركةٍ مِنْ حَرَكاتِ أَبي
كيس.

وَأَخيرًا ٱنْدَفَعَ أَبو كيس مُهاجِمًا زُهْدي
بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ، وَلَكِنَّ زُهْدي قَفَزَ مِنْ مَكانِهِ
كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ وَٱخْتَبَأَ خَلْفَ شَجَرَةٍ قَريبَةٍ
وَغابَ عَنِ ٱلْأَنْظار.

دارَ أَبو كيس خَلْفَ الشَّجَرَةِ فَلَمْ يَرَ زُهْدي وَلا سَمِعَ لَهُ صَوْتًا، رَكَضَ بَيْنَ أَشْجارِ ٱلْغابَةِ، وَٱحْتارَ في أَمْرِهِ... وَإِذا بِزُهْدي يَخْرُجُ مِنْ خَلْفِ شَجَرَةٍ ثانِيَةٍ وَيُقَهْقِهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ، فَٱنْدَفَعَ أَبو كيس نَحْوَه وَهُوَ يُزَمْجِرُ غاضِبًا، وَلَكِنَّ زُهْدي ٱخْتَفى كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ. كادَ أَبو كيس أَنْ يَفْقِدَ صَوابَهُ، مُتَعَجِّبًا مِنْ زُهْدي ٱلطِّفْلِ الَّذي يَظْهَرُ وَيَخْتَفي كَأَنَّهُ الشَّيْطان. فَتَحَ زُهْدي بابًا في شَجَرَةٍ ثالِثَةٍ، كانَ قَدْ أَفْرَغَ جَوْفَها ووَصَلَها بِنَفَقٍ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ إِلى بَقِيَّةِ ٱلْأَشْجارِ، وَوَقَفَ أَمامَها مُمْسِكًا بِيَدِهِ حَبْلاً وَهُوَ يَضْحَك.

ما كادَ أَبو كيس يَراهُ حَتّى هَجَمَ عَلَيْهِ بِكُلِّ قُوَّتِهِ، لَكِنَّ زُهْدي لَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْ مَكانِهِ، سَحَبَ ٱلْحَبْلَ بِقُوَّةٍ، حالما وَصَلَ أَبو كيس إِلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ، فَتَحَرَّكَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْأَغْصانُ مِنْ تَحْتِهِ وَإِذا بِهِ يَهْوي في حُفْرَةٍ عَميقَةٍ وَهُوَ يَصْرُخُ وَيُوَلْوِلُ.

وَبَيْنَما كانَتِ ٱسْتغاثاتُ أَبي كيس تَتَصاعَدُ مِنَ ٱلْحُفْرَةِ، كانَ زُهْدي يَضْحَكُ مُنْتَصِراً، وَهُوَ يُبْعِدُ ٱلْأَغْصانَ وَأَوْراقَ ٱلشَّجَرِ مِنْ فَوْقِ ٱلْحُفْرَةِ - ٱلْفخ.

ثُمَّ أَدْلى حَبْلاً مَتيناً كَتَّفَ بِهِ أَبا كيس بِقُوَّةٍ ثُمَّ سَحَبَهُ وَراحَ يَجُرُّهُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلى ٱلْعَرَبَةِ ٱلْخَشَبِيَّةِ.

... لَكِنْ ماذا حَدَثَ؟ إِنَّ أَبا كيس لا يَسْتَطيعُ ٱلْحَرَكَةَ!

ماذا حدَث؟ وَلِماذا ظَلَّ أَبو كيس جامِدًا فَوْقَ ٱلْعَرَبَةِ لا يَتحرَّك؟!

لَقَدْ كانَ زُهْدي مِنَ الذَّكاءِ بِحَيْثُ أَثْبَتَ فَوْقَ ٱلْعرَبَةِ وِعاءً كَبيرًا مَمْلُوءًا بِالصَّمْغِ ثُمَّ أَدْلى رِجْلَيْ أَبي كيس فيهِ فَٱلْتَصَقَتا بِٱلْوِعاءِ وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ٱلْهَرَب.

أَخَذَ زُهْدي يَجُرُّ أَبا كيس حَتّى وَصَلَ بِهِ إلى ٱلْقَرْيَةِ حَيْثُ كانَتْ تَنْتَظِرُهُ ٱلْمُفاجَأَةُ ٱلْكُبْرى إِذْ خَرَجَ النّاسُ لِٱسْتِقْبالِهِ بَعْدَ أَنْ عَرَفوا بِٱنْتِصارِهِ عَلى ٱللِّصِّ الَّذي نَشَرَ الذُّعْرَ في قَرْيَتِهِمْ وكانَ أَكْثَرَ ٱلْمُبْتَهِجينَ رُفَقاؤُهُ ٱلْأَطْفالُ الَّذينَ خافوا مِنَ التَّعاوُنِ مَعَهُ في مُحاوَلَتِهِ ٱلْجَريئَةِ، فَتَقَدَّموا مِنْهُ مُعْتَذِرينَ، وَقَبّلوه مَسْرورين.

عَمَّ ٱلْفَرَحُ قَرْيَةَ (ٱلْمَسَرّاتِ) سُرُورًا بِنَجاتِها مِنْ أَبي كيس، وَقامَتْ حَلَقاتُ الرَّقْصِ في السّاحَةِ العامّةِ، وَأَخَذَ زُهْدي ٱلْكيسَ ٱلْمَشْهورَ وَعَلَّقَهُ كَذِكْرَى عَلى جِدارِ بَيْتِه.

وَهَكَذا عادَتْ إِلى ٱلْقَرْيَةِ أَفْراحُها وَبَهْجَتُها وَحِكاياتُ ٱلْجَدّاتِ ٱلْمُمْتِعَة.